

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

### مواكبة الحوار السنوي مع بيانات المحقق الخوئي

ثم استكمل المحقق الخوئي دراسة شتى المحتملات حول «سبعة أحرف» فاستعرض التفسير الرابع قائلاً:[1]

4 اللغات الفصيحة: إن الأحرف السبعة هي اللغات الفصيحة من لغات العرب، وأنها متفرقة في القرآن فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن، وبعضه بلغة كنانة، وبعضه بلغة تميم، وبعضه بلغة ثيف. ونسب هذا القول إلى جماعة، منهم: البهقي، والأبهري، وصاحب القاموس.

و يردّه:

1. أن الروايات المتقدمة قد عينت المراد من الأحرف السبعة (قائلة: ما لم تختم آية عذاب برحمة، فموردها لا يلائم ولا تتحدى حول معنى اللغات الفصيحة) فلا يمكن حملها على أمثل هذه المعانى التي لا تنطبق على موردها (تلك الروايات).

2. أن حمل الأحرف على اللغات ينافي:

Ø ما روي عن عمر من قوله: «نزل القرآن بلغة مضر»[2] وأنه (عمر) أنكر على ابن مسعود قراءاته: «عَنِّي حِينَ» أي حتى حين، وكتب (عمر) إليه (ابن مسعود) أن القرآن لم ينزل بلغة هذيل، فأقرَّ الناسَ بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل[3] (فرسالة عمر - إلزاماً على العامة). تعدد أمارة و شاهد عيان على أن الأحرف السبعة ليست بمعنى مختلف اللغات، فاستنكاره كُعرف ذاك الزَّمن يُعرب عن زيف هذا التفسير).

Ø و ما رُوي عن عثمان أنه قال: «للرَّهط القرشيين الثلاثة (حينما قدموا إليه) إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم»[4].

Ø و ما رُوي: «من أن عمر و هشام بن حكيم اختلفا في قراءة سورة الفرقان، فقرأ هشام قراءة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: هكذا أنزلت، وقرأ عمر قراءة غير تلك القراءة فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: هكذا أنزلت، ثم قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف»[5] فإنَّ عمر و هشام كان كلاهما من قريش (بينما الرَّسول الأكرم قد أمضى تغير القراءات لا اللغات المتعددة) فلم يكن حينئذ ما يوجب اختلافهما في القراءة.

3. ويضاف إلى جميع ذلك أن حمل الأحرف على اللغات قولُّ بغير علم، و تحكمُ من غير دليل (باتاناً).

4. أن القائلين بهذا القول:

Ø إن أرادوا أن القرآن اشتَمل على لغات أخرى، كانت لغة قريش خاليةً منها، فهذا المعنى خلاف التسهيل على الأمة الذي هو الحكم في نزول القرآن على سبعة أحرف على ما نطقت الروايات بذلك (فمن المبرم أن لغة قريش قد حظيت أقصى المراتب) بل هو خلاف الواقع، فإن لغة قريش هي المهيمنة علىسائر لغات العرب، وقد جَمعت من هذه اللغات ما هو أفساحها، ولذلك استحقَّت أن توزَن بها العربية وأن يرجع إليها في قواعدها.

Ø وإن أرادوا أن القرآن مشتمل على لغات أخرى ولكنها تتَحد مع لغة قريش، فلا وجه للحصر بلغات سبع (بل ستَحتضن كافة اللغات إذن) فإن في القرآن ما يقرب من خمسين لغة، فعن أبي بكر الواسطي: «في القرآن من اللغات خمسون لغة، وهي لغات قريش، و هذيل، و كنانة، و خثعم، و الخزرج، و أشعر، و نمير ...»[6].

5. (و المعنى الخامس) لغات مُضَرٌ: إن الأحرف السبعة هي سبع لغات من لغات مُضَرٌ خاصة، وأنها متفرقة في القرآن، وهي لغات قريش، وأسد، و كنانة، و هذيل، و تميم، و ضبة، و قيس، و يرد عليه جميع ما أوردناه على الوجه الرابع.

6. (و المعنى السادس) الاختلاف في القراءات (و تغاير اللهجات): إن الأحرف السبعة هي وجوه الاختلاف في القراءات، قال بعضهم (علماء الفرقة البكريَّة): إني تدبَرتُ وجوه الاختلاف في القراءة فوجدتها سبعاً:

Ø ف منها: ما تتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته مثل: «هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ» بضمّ أطهر وفتحه.

Ø و منها: ما تتغير صورته ويتحفظ معناه بالإعراب مثل: «رَبَّنَا بِأَعْدِيَنَ أَسْفَارِنَا» بصيغة الأمر والماضي.

Ø و منها: ما تبقى صورته ويتحفظ معناه باختلاف الحروف مثل: «و طلح منضود» و «طلع منضود» (أي شجرة الموز أو آية ثمرة طويلة و طيبة الرائحة).

Ø و منها: ما تتغير صورته و معناه مثل: «كالعهن المنفوش و «كالصوف المنفوش».

Ø و منها: بالتقديم والتأخير مثل: «و جاءت سكرة الموت بالحق» (كما في القرآن) و «جاءت سكرة الحق بالموت» (والسّكرة هي حالة اللاشعورية واللاوعي حين انفصال الروح عن البدن).

Ø و منها: بالزيادة والنقصان: «تسْعُ و تسعون نَعْجَةً أُنْثَى» و «أَمَّا الغلام فكان كافراً و كان أبواه مؤمنين» «إِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ لَهُنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ».

و يردَهُ:

1. أن ذلك قول لا دليل عليه، و لا سيما ان المخاطبين في تلك الروايات لم يكونوا يعرفون من ذلك (أي لم تتبادر أذهانهم اختلاف قراءات بل قد فهموا ألا يخلطوا العذاب بالرحمة و ألا يتغيروا الكلمات: السميع مكان العليم و...) شيئاً.

2. ان من وجوه الاختلاف المذكورة ما يتغير فيه المعنى و ما لا يتغير، و من الواضح أن تغيير المعنى و عدمه لا يوجد الانقسام إلى وجهين، لأن حال اللفظ و القراءة لا تختلف بذلك، و نسبة الاختلاف إلى اللفظ في ذلك من قبيل وصف الشيء بحال متعلقة، و لذلك يكون الاختلاف في «طلع منضود. و كالعهن المنفوش» قسماً واحداً.

3. ان من وجوه الاختلاف المذكور بقاء الصورة للفظ، و عدم بقائها، و من الواضح أيضاً أن ذلك لا يكون سبباً للانقسام، لأن بقاء الصورة إنما هو في المكتوب لا في المقرؤ، و القرآن اسم للمكتوب لا للمقرؤ و المنزل من السماء إنما كان لفظاً لا كتابة. و على هذا يكون الاختلاف في «و طلح. و ننسزها» وجهاً واحداً لا وجهين.

4. ان صريح الروايات المتقدمة أن القرآن نزل في ابتداء الأمر على حرف واحد، و من بين أسباب ذلك الحرف الواحد ليس هو أحد الاختلافات المذكورة، فكيف يمكن أن يراد بالسبعة مجموعها!.

5. ان كثيراً من القرآن موضع اتفاق بين القراء، و ليس مورداً للاختلاف، فإذا أضفنا موضع الاتفاق إلى موارد الاختلاف بلغ ثمانية. و معنى هذا أن القرآن نزل على ثمانية أحرف.

6. أن مورد الروايات المتقدمة هو اختلاف القراء في الكلمات، وقد ذكر ذلك في قصة عمر و غيرها. و على ما تقدم فهذا الاختلاف حرف واحد من السبعة، و لا يحتاج رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في رفع خصوصياتهم إلى الاعتذار بأن القرآن نزل على الأحرف السبعة، و هل يمكن أن يحمل نزول جبريل بحرف، ثم بحروفين، ثم بثلاثة. ثم بسبعين على هذه الاختلافات؟! و قد أنصف الجزائري في قوله: «و الأقوال في هذه المسألة كثيرة، و غالباً بعيد عن الصواب». و كان القائلين بذلك ذهلاً عن مورد حديث انزل القرآن على سبعة أحرف، فقالوا ما قالوا»[7].

---

[1] البيان في تفسير القرآن، ص: 185-188

[2] التبيان: ص 64.

[3] نفس المصدر: ص 65.

[4] صحيح البخاري: 1 / 156، كتاب المناقب، باب نزل القرآن بلسان قريش، رقم الحديث: 3244.

[5] صحيح البخاري: كتاب الخصومات، رقم الحديث: 2241.

[6] راجع الإتقان: 1 / 204 - 230، النوع 37.

[7] التبيان: ص 59.